أفكار للسينما

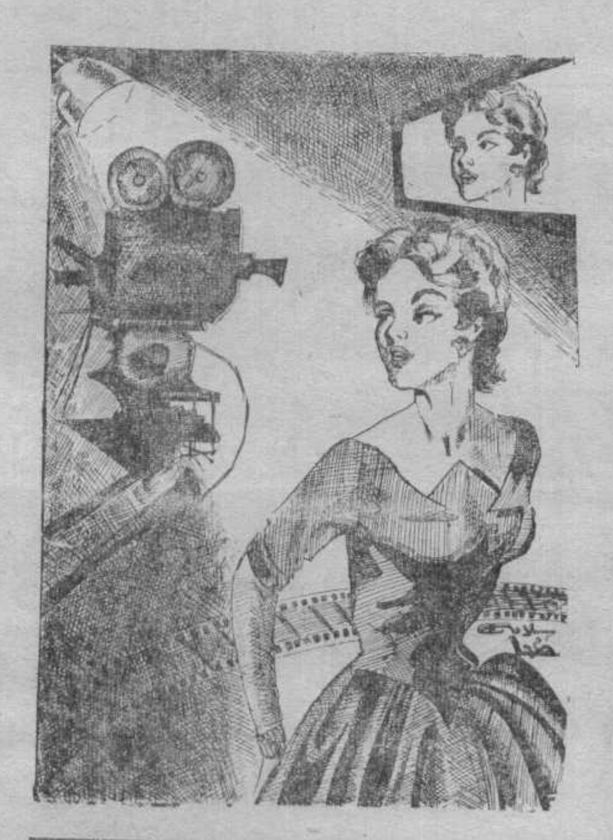
قصص المجموعة

- السكرتيرة الساحرة
- أديب وملهمة
- العاشق الصغير
- طريق المجد
- سأنتظر
- عائدون
إلى أرض السلام
- بيت مجنونا
- ص البرئ
- إذا جاء الحب
- نتقابل
في النهاية
- حيرة وشباب
- الإصبع السادس
- الحب الكبير
- الزوجة المراهقة
- حر الطريق
- لكم ذئاب





أفكار للسينما



المطبعة المتحدة
٣٨ شارع النزهان القاهرة ت ٩٦٦٩٠


كتب وروايات
أحمد حسن سعد
١ عمر بن الخطاب بمصر الجديدة
أوبريت وأناشيد نداء العروبة
السكرتيرة الساحرة
أحببت مجنونا
ديوان الشعب والجيش طبعة أولى
ديوان الشعب والجيش طبعة ثانية
أوبريت الأمومة
أوبريت أعياد النصر
أفكار للسينما
دروس عملية في كتابة السيناريو
بزلة الأسير

مقدمة

الأدب السينمائي

إن من أهم مشاكل السينما العربية حاجتها إلى القصة التي تصلح لتقديمها على الشاشة. وهناك كثير من الكتاب يمتنعون عن التعـــاون مع السينمائيين بحجة أن السينما تمسخ أفكارهم، وتخرجها مشوهة ناقصة تعبر تعبيراً غير كامل وتختلف عن أفكار وإحساسات الأديب الذي كتب القصة. كما وأن السينمائيين يعتقدون أن معظم القصص التي يكتبها الأدباء لا تصلح لتقديمها على الشاشة ـ والحقيقة أن كلا الرأيين صحيح. فإن المشكلة الأولى للسينما العربية هو قلة الكتاب الدارسين والمتخصصين في كتابة القصص السينمائية أو بالتعبير الفني كتابة (أفكار للسينما).

والفكرة السينمائية Idea هي خاطر فني ممتاز تحمل معنى قوي واضح يمكن أن نخلق حولها ما يشبه الخلية لتصلح كنواة لفيلم سينمائي. ويمكن تلخيصها في الإجابة على السؤال الآتي: ــ ماذا تريد أن تقول في هذا الفيلم؟ وماذا تهدف به؟ وهي تعتبر أول مرحلة من مراحل كتابة السيناريو ثم تأتي بعدها المرحلة الثانية وهي: ــ

مرحلة كتابة المجمل أو الملخص Sinopses وفيها يتم وضع الخطوط العريضة للفيلم التي تستغل فيما بعد في مرحلة التفاصيل التي تخلق فيها شخصيات ثانوية تقوم بأحداث ثانوية. والملخص هو المرحلة التي يمكن تقديمها للمنتج ليعلم أنه أمام ملخص يصلح لفيلم جيد ويجب أن تكتب أحداث الملخص في زمن المضارع. ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي: ــ

مرحلة المعالجة السينمائية (تريتمنت) Treatment وهي عملية تنمية الفكرة السينمائية وتسجيلها على الورق بحيث تبدو كسجل قصير وبسيط الموضوع المقترح. وتنحصر قيمتها في تسلسلها. فكل حادث يؤدي منطقيا وبسهولة للحادث الذي يليه مع المحافظة على جذب الإهتمام خلال السرد بحيث يصبح الحادث التالي أكثر أهمية من السابق فيزداد الإهتمام الدرامي باستمرار حتى تأخذ في الصعود إلى الذروة التي تعلو كل ماسبقها. وتأتي بعد ذلك المرحلة الرابعة في نمو القصة السينمائية وهي: ــ

مرحلة كتابة السيناريو Scenario. والسيناريو هو قصة الفيلم معدة على شكل فصول ومشاهد وتطلق كلمة سيناريو أيضا على نسخة التقطيع الفني المعدة للتصوير. والسيناريو في أبسط تعبير له هو كتابة وصف شامل لما سيراه المتفرج من القصة على شاشة العرض. أما إذا توخينا التعبير الدقيق فهو صياغة القصة في القالب السينمائي أي ترجمتها وسردها على النظارة بواسطة الصوت والصورة. وأهمية السيناريو ترجع إلى أن الجمهور لا يعنى بصناعة السينما، فقد تركها وأسرارها للفنيين. وأصبح لا يحاسب في النهاية سوى

القصة وما تركته أو حركته فى نفسه من مشاعر . والسيناريو هو عبارة عن فيلم على الورق قد تستغرق كتابته عدة شهور ولكنه وقت غير ضائع ، فكلما زاد وصفاً ودقة كلما سهل تنفيذ الفيلم . والسيناريو بعبارة أخرى هو العمل الذى يجب أن يتم قبل دخول الأستوديو فهو ترجمة القصة من حروف مكتوبة على الورق إلى مشاهد على الأفلام السليولويد تعرض لترى بالعين وتسمع بالأذن .

بعد هـذا العرض السريع للمراحل التى تمر بها القصة التى كتبت خصيصا للسينما بواسطة كتاب دارسين ومتخصصين فى كتابة الفكرة السينمائية التى تنمو حتى تصبح سيناريو كامل بعد مرورها بهذه المراحل — أعود فأكرر بأن عدد هؤلاء الكتاب قليل للغاية ولا يكفى العدد الكبير من الأفلام العربية التى تنتج سنويا . ولا يتمشى مع الإنتفاضة الثورية ونهضة السينما العربية فى الوقت الحالى . مما اضطر السينما العربية إلى الاستعانة بالقصص الأدبية التى نشرت لأدباء معروفين فى كتب أو مسلسلة فى جرائد ومجلات ولاقت رواجاً مادياً أو رواجاً إجتماعياً لإحداث ثورة أدبية ، وكذلك تلجأ الشركات السينمائية إلى إعداد المسرحيات الناجحة أو القصص القصيرة التى كتبها كبار الأدباء .

ومن هذه المصادر الثلاث يواجه كاتب السيناريو لوناً آخر يختلف إختلافا كبيراً عن القصص التى كتبت خصيصاً للسينما فهناك عدة فروق بين هذه المصادر الثلاث والقصة السينمائية . ومن هـذه الفروق ما يلى : —

١ — كاتب القصة السينمائية عادة يراعى المقومات السينمائية عند كتابتها بينما المسرحية الناجحة بها مقومات مسرحية وليست سينمائية وكذا القصة الأدبية الناجحة بها مقومات أدبية ناجحة وليست مقومات سينمائية . وعادة المقومات الأدبية للقصة الناجحة تأتى بضرر وصعوبة بالغة عند إعدادها سينمائيا

٢ — الحوار هو أداة التعبير الأولى فى المسرح بينما هو أداة التعبير الأخيرة فى السينما . فإن السينما تعتمد على الصورة اكثر من إعتمادها على الحوار

٣ — أحداث المسرحية عادة تكون محصورة بين ثلاثة جدران بينما السينما حرة الحركة ، وهذه إحدى مميزات السينما . فإنه يمكننا أن نعرض مشهداً أو لقطة فى القاهرة ثم نعرض اللقطة التالية لأحداث تجرى فى بيروت ثم نعود فى اللقطة التالية إلى القاهرة مرة أخرى . مثال ذلك (قصة أديب وملهمة) فى هذه المجموعة . ولذا فإن كاتب السيناريو يجد صعوبة فى إعداد المسرحية عندما يريد أن يستغل هذه الميزة عند قيامه بالإعداد السينمائى .

٤ — القارىء للرواية الأدبية يقوم فى مخيلته باستيعاب القصة ـ أى أنه يقوم فى داخلية

نفسه بكتابة السيناريو والحوار ثم يقوم بتمثيلها وتصويرها وإخراجها لنفسه دون أن يدرى . ولذا فإنه عندما يشاهد هذه القصة التى سبق أن قرأها بعد أن أعدت للسينما فإنها تفقد عناصر التشويق لأنه سبق أن صـــورها وأخرجها وقام بتمثيل أدوارها فى مخيلته . وبذا يواجه السناريست من الناحية النفسية صعوبة نتيجة أثر فنى ترسب فى نفس المتفرج الذى سبق أن قرأ القصة .

٥ — لا توجد حلقة مفرغة بين كاتب القصة الأدبية وبين جمهوره فإنها تنتقل من يده إلى المطبعة إلى جمهوره بينما كاتب السيناريو بينه وبين الجمهور فاصل كبير من المخرجين والممثلين والصحفيين والفنيين حتى تعرض القصة على الجمهور أخيرا .

٦ — لا توجد قواعد تربط الأديب عند كتابة القصة الأدبية بينما كاتب السيناريو مقيد بقواعد وقوانين متعارف عليها مثل زمن الفيلم وعدم الرجوع للوراء بينما الأديب حر فى وصف أحداث فى الحاضر ثم الرجوع إلى الوراء كيفما شاء لوصف أحداث فى الماضى .

٧ — كاتب السيناريو محاسب بمدى رسم شخصيات الفيلم وتطورها بالنسبة إلى الزمن الذى يمر تباعاً من الفيـــلم - بينما الأديب حر فى رسم الشخصيات فى أول القصة أو فى منتصفها أو فى نهايتها .

٨ — الوصف والتحليل مطلوب فى القصة الأدبية المطبوعة بينما هو مشكلة يواجهها كاتب السيناريو عند تحويلها إلى صور سينمائية .

٩ — عدد كبير من القصص الأدبية تعتمد على براعة اللفظ عند الأديب الذى كتبها وعند إعطائها لكاتب سيناريو أقل براعة فى التعبير باللفظ فإن القصة ستفقد روعتها عند إعدادها سينمائيا .

١٠ — عدد الشخصيات وعـــدد الأماكن لا حدود له عند الأديب بينما السيناريست لا يمكنه إظهار هذا الحشد من الشخصيات والأماكن .. الخ .

١١ — القصة الأدبية يمكنها أن تقوم بأى إتجاه ثورى من جهة المضمون . فإنه يمكن كتابة رواية أدبية تدور جميع أحداثها داخل الشخصيات (خواطر نفسية) بينما يصعب تنفيذ ذلك فى السينما .

١٢ — هناك نقطة هامة تراعى عند كتابة القصة السينمائية بينما هى غير حتمية لكاتب القصة الأدبيـة وهى أن الجمهور فى دار العرض ما هو إلا كتلة إجتماعية أى كتلة بشرية . وفى نفس الوقت هناك نقطة أخرى متناقضة مع هذه النقطة وهى فردية الفرد . أى أن كل فرد دخل دار العرض بمفرده . كما وأن ظلام دار العرض يساعد على جعل كل فرد منفرداً عن الجالس بجواره . ولذا نجد كاتب الفكرة السينمائية وكذا

كاتب السيناريو الذى قام بمعالجتها يتعاملان مع جمهور يتمتع بصفتين متناقضتين : الأولى العمومية والثانية الخصوصية . أى أنه يجب أن يواجه جمهور عام وخاص فى نفس الوقت . وأهم محك فى العمل الفنى هو وصول الأثر لمستقبليه (الجمهور) . وعلى كاتب الفكرة السينمائية والسيناريست توصيل العمل الفنى للجمهور المتصف بهاتين الصفتين المتناقضتين وذلك بالوصول إلى الجمهور العام عن طريق (المدخل) بقضايا عامة أو آداب عامة أو قيم عامة يحبها الجمهور وتعوّد عليها . والوصول إلى الجمهور الخاص كأفراد عن طريق (المنفذ) . وهناك عدة منافذ رئيسية موجودة فى كل فرد وتعتبر عناصر وخطوط لابد من توافرها فى الفيلم حتى يمكننا الوصول إلى الجمهور كأفراد مثل : ـ

١ — علاقات الغرام Love interest : يعتبر من العناصر المطلوبة جداً فى الأفلام لأن ٨٠ ٪ من المتفرجين إما محب أو يريد أن يحب ولذا فإن علاقات الغرام أمر حتمى وضرورى كمقوم للأفلام . وهى من أحسن وسائل نقل الأفكار والعواطف وتكون أكثر قبولا من الجمهور إذا كانت بين شخصيتين بطوليتين من الناحية الخلقية . والبطل فى السينما لا يقصد به الخارق للمألوف ـ أى الذى يقوم بأعمال خارقة للعادة ـ ولكن أبطال السينما يجب أن يكونوا أعلى قليلا من مستوى الإنسان العادى على أن يكونوا أبطالا من الناحية الخلقية أى صادقين وأمناء .. الخ أى تكون تصرفاتهم سليمة من الناحية الخلقية وتتمشى مع القيم الخلقية المحلية .

٢ — التعاطف من الجمهور : وذلك بجذب التعاطف من الجمهور بأبطال الفيلم عن طريق شخصيات وأحداث الفيلم .

٣ — الصراع : وذلك بأن نضع صراع بين أبطال الفيلم فى مسائل ومواضيع تهم الجمهور حتى يندمج فيه ويحس به ويقف ليشاهد الفيلم . وكلما نبع الصراع من شخصية البطل كلما كان الصراع أشد . ومعنى هذا أن يجيد البطل حسن التصرف . ويجب أن نلاحظ أن الصراع يجب أن يتمشى مع مجموع ملاحظاتنا فى الحياة هذا من ناحية المضمون أما من ناحية الشكل فإن الصراع فى الأفلام ينقسم إلى : ـ

(ا) صراع ساكن .

(ب) صراع متوثب يثب إلى حركة كبيرة بمفاجأة كبيرة . ويجب أن نلاحظ أن كلا النوعين مطلوب . فى الصراع الأول ينام المتفرج ، وفى الصراع الثانى يكون المتفرج متحفزاً .

(حـ) وهناك نوع ثالث من الصراع وهو الصراع الساكن المتدرج . وهذا النوع

هو المطلوب فى معظم الأفلام . والمفروض أن المتفرج يقرأ نتائج الصراع ولكنه لا يراقب تدرجه .

٤ — الشعور العام للجمهور Suspense : وهو المقوم الرابع من مقومات نجاح الأفلام . والتعريف الأصلى له هو الشك الذى يولد رغبة فى الجمهور لمعرفة النتيجة . وأن تكون هذه النتيجة إحدى النتائج الدائرة فى الذهن ، وهو شعور عام طوال الفيلم وليس لجزء منه فقط . وعند ما تظهر النتيجة لا ينتهى الشعور العام للجمهور لأن النتيجة ليست هى كل شىء – وإنما متابعة النتيجة هى جزء كبير من هذا الشعور (السسبنس) . ولتفسير الشعور العام للجمهور فى السينما يمكننا أن نشبهه بالشعور العام للجمهور عند مشاهدة مباراة لكرة القدم – لكن كاتب (السسبنس) فى السينما يلعب على أكثر من إحتمالين وليس إحتمالين فقط كما يحدث فى مباراة كرة القدم (فوز أو هزيمة) . ويجب أن نلاحظ أن أى تشويش فى (السسنس) يفسده . كما وأن (السسبنس) ليس نوعاً من الأفلام كما يظن البعض إنما هو عنصر مقوم لجميع الأفلام ولكنه يختلف من فيلم لآخر فإن أهميته تكون فى المرتبة القصوى فى أفلام رعاة البقر والأفلام البوليسية التى أطلق عليها بنوع الخطأ إسم أفلام (السسبنس) . وقد إشتهر (هتشكوك) بالسسبنس لأنه لجأ إلى بعض الحيل التى تعتبر مرتبطة بحادثة معينة كالتعاطف والأمومة .. الخ ولذا تظل معلقة بالذهن .

ويجب أن نلاحظ أن من واجب السيناريست عند معالجة الفكرة السينمائية ألا ينسى (السسبنس) فى الفيلم حتى يجعل المتفرجين متشككين ومتطلعين لمعرفة النتيجة . وقد يصعب على الأذهان أن (السسبنس) مطلوب حتى فى الأفلام الإنسانية البحتة ولكن ذلك حقيقة بلا جدال . والحالة الوحيدة التى يضحى فيها الكاتب السينمائى (بالسسبنس) هى الحالة التى يلاحظ فيها أنه إذا قام بعمل (السسبنس) فإن ذلك سيضيع هدف الفيلم وقيمته . ويجب أن نعرف أنه من الخطأ أن نأتى بنتيجة غير متوقعة من الجمهور على الإطلاق . فالمهم فى (السسبنس) أن تكون النتيجة هى إحدى النتائج المتوقعة والتى يفكر فيها الجمهور حتى نرضى غرور ذلك الجمهور .

إننا نعلم أن الموضوع يفرض نفسه على الكاتب ولكن الكاتب السينمائى يجب أن تكون له يد قوية يسيطر بها على المقومات الأربعة للفيلم الناجح والتى سبق ذكرها . وهناك مؤثرات درامية أخرى كثيرة تستخدم فى الأفلام الناجحة لا تتسع

لذكرها هذه المقدمة الدراسية المبسطة للأدب السينمائى ولكنى أعد بنشرها فى كتاب قادم . مثال ذلك عنصر المفاجئة السينمائى Surprise وكذا مؤثر الغموض Mystery وهو أن يكون البطل فى القصة يعرف ما سوف يفعله أما الجمهور فلا يعرف شيئا عما سيفعله . وهناك مؤثر درامى آخر هو (الدراماتيك أيرونى) Dramatic Irony مثال ذلك إحساس الجمهور بخطر سيلحق ببطل القصة دون أن يشعر هو بالخطر الذى سيلحق به . أى يجب أن يكون هناك طرف يعلم وطرف لا يعلم . وهناك مؤثر درامى آخر هو الإنقـــلاب الدرامى (كوديتتر) مثال ذلك أن يضع رجل قطعة مخدرات فى جيب آخر دون أن يدرى ثم يطلب من ضابط تفتيشه . وعندما يضع الضابط يده فى جيب الرجل ليفتشه تخرج يده وبها مستند يدين الرجل الأول الذى دبرّ لزميله هذه المكيدة . مثل هذا الموقف يسمى (كوديتتر) أى إنقلاب درامى) . وهو أحد المؤثرات الدرامية الناجحة فى القصص السينمائية

.. لهذه الأسباب مجتمعة أقدم كتابى (أفكار للسينما) وبه عدد من الأفكار السينمائية التى تحولت بعضها إلى أفلام سينمائية . والبعض الآخر أقدمه هدية متواضعة للزملاء من السينمائيين للنهوض بالسينما عن طريق رفع مستوى القصة السينمائية . وأرجو أن تكون قصص هذه المجموعة كنموذج للمراحل الأربعة التى تمر بها القصة السينمائية وهى (الفكرة السينمائية والملخص السينمائى والمعالجة السينمائية والسيناريو) وأن يكون هذا الكتاب كنموذج للأدب السينمائى الذى أدعو إليه - والذى بدأت ممارسته سنة ١٩٥٨ عندما نشرت قصتى الطويلة (أحببت مجنونا) وطبعت على غلافها عبارة (قصة السينما رقم ١) تأكيداً لفكرة الأدب السينمائى الذى أدعو إليه .. ثم تبعتها بنشر قصتى الطويلة (السكرتيرة الساحرة) التى نوقشت فى (رابطة الأدب الحديث) سنة ١٩٦٠ وأجمع بعض النقاد وهم الدكتور عبد القادر القط والأستاذين على شلش ولمعى المطيعى على أن القصة تتجه إلى الناحية السينمائية ، وبها كثير من عنصر المفاجئة السينمائى . فأعلنت فى الحال أنه يسعدنى أن يجمع النقاد على أنها قصة سينمائية . وأننى فعلا كتبتها للسينما كنموذج للأدب السينمائى الذى نحتاج إليه وإلى عدد من الأدباء ليؤمنوا به ويحملوا أقلامهم معى كمشاعل تنير له الطريق لنشارك فى بناء نهضتنا التقدمية الإشـــتراكية عن طريق أقوى وسائل الإعلام وهى السينما ؟

نقيب
أحمد حسن سعد

السكرتيرة الساحرة

بيومى

سهير وألفت تلميذتان جميلتان من حى جاردن سيتى تذهبان كل صباح إلى المدرسة بالعربة (المرسيدس) السوداء التى يملكها والد سهير الأستاذ محمود القاضى بمحكمة الإستئناف ... بعض التلاميذ يعاكسون البنتين لكنهما لا تعيرهم أى إلتفات لأخلاقهما الفاضلة . تظهر النتيجة وتنجحان فى إمتحان الشهادة الثانوية وتلتحق سهير بكلية الفنون الجميلة لأنها تحب الرسم بينما تلتحق ألفت بمعهد السكرتارية لأنها تحب الكتابة على الآلة الكاتبة التى كانت تكتب عليها كثير آلتساعد أباها المحامى فى كتابة مذكرات دفاع القضايا التى يترافع فيها . . . فى كلية الفنون الجميلة تظهر سهير براعتها وتأخذ لوحاتها مكان الصدارة فى المعارض . ويكتب عنها النقاد فى الجرائد والمجلات . تهرع إليها ألفت لتهنئها بنجاحها الباهر . وتعرض عليها فكرة إفتتاح معرض ومرسم بإسمها لتعرض فيه إنتاجها للبيع وتشغل وقت فراغها فى الرسم . تفرح سهير للفكرة لكنها تتخوف من عدم موافقة والدها لأنه متمسك بالتقاليد القديمة رغم مركزه وثقافته فتتعهد لها ألفت بمعاونتها فى إقناعه .. . ألفت تحاول بشتى الوسائل إقناع والد سهير بالمشروع وبعد جهد كبير يقتنع والد سهير ويقترح أن يسمى معرض إبنته بإسم (معرض الفن الحديث) فتشكره الفتاتان وهما فرحاتان . سهير تجلس فى (معرض الفن الحديث) أمام جمعية الأدباء بشارع القصر العينى . تدخل عليها ألفت لتهنأتها بإفتتاح معرضها . تطلب سهير من ألفت أن تحضر إليها كل ليلة لتبقى معها ساعة ترسم فيها لوحة لها على أن تحضر معها الآلة الكاتبة لتقوم بتمرينها العملى أثناء قيام سهير برسم اللوحة . تحقق ألفت رغبة صديقتها وتنتهى سهير من رسم اللوحة وتطلق عليها إسم لوحة (السكرتيرة الساحرة) . وتخبر ألفت بأنها ستهديها إليها يوم تخرجها من المعهد . وترجوها أن تسمح لها بتعليقها فى واجهة المحل حتى تتخرج لأنها فخورة بتلك اللوحة التى تعتبر أحسن ما رسمت . وتوافق ألفت بعد طول إلحاح وبعد أن تتعهد سهير بأنها لن تعطى أية معلومات لأى شخص يستفسر عن إسم أو عنوان صاحبة اللوحة ... تعرض لوحة (السكرتيرة الساحرة) فى الواجهة الرئيسية (لمعرض الفن الحديث) . ويقف الجميع يتأمل روعتها واللمسات الفنية فيها والإحساسات المعبرة عنها ... يقف الأستاذ مجدى المحامى الذى يقع مكتبه بنفس الشارع مشدوها يتأمل اللوحة أكثر من ساعة وهو شارد بينما ينصرف باقى المعجبين باللوحة من حوله ليحل غيرهم وهكذا ... يقارن الأستاذ مجدى بين سكرتيرة

مكتبه الدميمة الكسول و بين تلك الفتاة الساحرة صاحبة اللوحة التى تجلس أمام الآلة الكاتبة منهمكة فى عملها ويشع الذكاء من عينيها . . يظل مجدى سابحا فى تخيلاته حتى يحضر الأستاذ أنور المحاسب بالمكتب المجاور لمكتبه فيقطع عليه تخيلاته وأحلامه ويأخذه إلى مكتبه .. الأستاذ مجدى شارد فى مكتبه يطلب من وكيل مكتبه الإعتذار لموكليه بحجة أنه متعب . ثم يترك المكتب ليقف أمام واجهة (معرض الفن الحديث) يتأمل لوحة (السكرتيرة الساحرة) حتى يشعر بسهير تتأهب لغلق معرضها . يحلم مجدى أثناء الليل بصاحبة اللوحة . . . فى صباح اليوم التالى مجدى فى المحكمة لا تسعفه أعصابه على المرافعة فيطلب تأجيل معظم القضايا . . . يعود إلى منزله ولا يتناول إلا القليل من الغذاء ولا ينم بعد الظهر كعادته بل يخرج ليقف أمام معرض الفن الحديث زهاء ساعة ثم يتوجه إلى مكتبه ويقضى به ساعتين ثم يخرج ليقف أمام اللوحة فى واجهة المعرض حتى يحس بأن سهير تتأهب لغلق المعرض فيعود إلى منزله ليحلم طوال الليل بصاحبة اللوحة . . . تعجب سهير من كثرة تردد ووقوف الأستاذ مجدى أمام اللوحة . . . وأخذت تفكر فى أمره حين دخل عليها ليسألها عن ثمنها فأخبرته بأنها ليست للبيع فعرض عليها أن يدفع أى ثمن . وطلب منها ألا تستغل إعجابه باللوحة لتبتز أمواله فأخبرته بأنها مستعدة لأن تهديه آية لوحة أخرى غير تلك اللوحة لأنها تخص صديقة عزيزة وستهديها إليها فى مناسبة سعيدة عند تخرجها من معهد السكرتارية فطلب منها معلومات عنها فأخبرته بأنها من عائلة محافظة ووعدتها بأنها لن تعطى أحداً أية معلومات عنها . فإنصرف مجدى وإكتفى بالتردد مرة أخرى على المعرض ليقف أمام اللوحة يتأملها قبل ذهابه إلى مكتبه وعند عودته إلى منزله لكنه تضايق أخيراً وصمم على أن يصل إلى صاحبة اللوحة بأى ثمن . وأعطى نفسه أجازة لمدة أسبوع ليبحث عنها فى نفس الحى لأنها ستكون فى الغالب من ساكنيه مادامت صديقة لسهير صاحبة المرسم . وكان مجدى يخرج من منزله قبل خروج الطالبات والموظفات إلى أعمالهن وينتظر عودتهن ظهراً إلى منازلهن ليبحث بينهن عن صاحبة اللوحة دون جدوى — فإن ألفت كانت فى أجازة لمدة عشرة أيام تستعد للإمتحان النهائى لمعهد السكرتارية . . . فكر مجدى نشر إعلان بالجرائد والمجلات يطلب فيه سكرتيرة لمكتبه لعلها تكون من بين المتقدمات . ونفذ الفكرة ولم ينس أن يخبر سكرتيرته بأن لن يستغنى عنها ولكنه يطلب زميلة لها لتعاونها فى أعمالها الكثيرة .

تتقدم إلى مكتبه عشرات الفتيات وكان معظمهن يتمتعن بمزايا كثيرة عن سكرتيرته الحالية الكسول القبيحة المنظر . . . لكنه لم يعين إحداهن لأن صاحبة اللوحة لم تكن من بينهن . . . وأخذ وكيل المكتب يتعجب من أمر أستاذه بينما ملأ الغرور نفس السكرتيرة

الحالية لأنها ظنت أن الأستاذ مجدى لم يجد مثيلة لها بين ذلك العـدد الهائل من المتقدمات للوظيفة . ففرحت بهذه النتيجة التى توصلت إليها بينما عاد الأستاذ مجدى إلى منزله حزينا تلك الليلة . ظل مجدى يتردد على معرض الفن الحديث كل مساء ليقف أمام اللوحة يتأملها عند ذهابه إلى مكـتبه وعند عودته منه إلى أن جاءت ليلة لم يحسب لها حساب . فقد لاحظ إختفاء لوحة (السكرتيرة الساحرة) من واجهة المعرض . ووجد لوحة أخرى قد وضعت مكان لوحة (السكرتيرة الساحرة) التى كانت سهير قد أهدتها إلى صاحبتها بمناسبة تخرجها من معهد السكرتارية وكانت الأولى على دفعتها . . . لم يتحمل مجدى الصدمة . وسقطت حقيبته من يده وكـاد يسقط هو الآخر . ولاحظت سهير ذلك فأحضرت له كوباً من الماء ومقعداً ليستريح ... فشكرها وركب سيارة أجرة وانصرف إلى منزله . واتصل تليفونيا بمكتبه . . . واعتذر عن مقابلة موكليه . . . أخذ مجدى يفـكر فى سر إختفاء اللوحة . . ترى هل سبب إختفائها هو تخرج صاحبتها وقيام الفنانة سهير بإهدائها إياها — أم لأن الفنانة سهير حجبت اللوحة عن مكانها المحبب إلى نفسه يوما أو يومين لتزيدها بلمساتها الفنية سحراً فوق سحر .

فى صباح اليوم التالى طلب مجدى تأجيل معظم القضايا بحجة تقديم بعض المستندات . . وبعد الظهر كان يقف أمام واجهة المعرض ليطمئن على لوحة (السكرتيرة الساحرة) لـكنه وجد بدلا منها اللوحة اللعينة التى حلت محلها . . . فـكر مجدى أن يدخل المعرض ليسأل صاحبته عن اللوحة لـكن كرامته منعته أن يظهر بمظهر الضعيف الولهان أمامها خصوصا حينما تذكر موقفه أمام معرضها بالأمس عندما أحس إغماءة شديدة حين لاحظ إختفاء اللوحة .

عاد مجدى إلى منزله حزيناً . واكتفى بالمرور على المعرض فى الأيام التالية عسى أن تظهر اللوحة ولـكن دون جدوى . وكـان يفـكر فى الدخول فى كل مرة ليسأل عن اللوحة لـكنه كان يرتد ثانية ليحفظ لنفسه كرامتها .. أخيراً يضطر مجدى أن ينزل عن كرامته . ويدخل المعرض وتستقبله سهير بترحاب بالغ وتقدم له قدحاً من القهـــوة . . . ويرجوها مجدى أن تفسر له بصراحة سر إختفاء اللوحة ... فتخبره أنها أهدتها إلى صاحبتها بمناسبة تخرجها من معهد السكرتارية كما وعدتها من قبل ... ويرجوها أن تذكر له إسمها وعنوانها. فتأسف له بحجة أنها وعدت صديقتها بأنها لن تخبر أحداً آية معلومات عنها عندما سمحت لها بعرض اللوحة ... ينشر مجدى إعلاناً آخراً بالصحف والمجلات يطلب سكرتيرة لمكـتبه

فربما تكون بين المتقدمات خصوصاً وأنها تخرجت حديثاً من المعهد كما أخبرته صديقتها سهير .. وفى الميعاد المحدد بالاعلان يزدحم المكتب بالمتقدمات . ويجلس مجدى على مكتبه يستعرضهن واحدة تلو الأخرى - بينما يقف بجواره خلف المكتب سكرتيرته الحالية ووكيل مكتبه .. وتستمر عملية عرض المتقدمات فترة طويلة ، وكان قلبه يخفق بسرعة كلما فتح الباب ودخلت فتاة جميلة . . ثم كانت المفاجأة .. فقد دخلت ألفت صاحبة اللوحة حجرة مكتبه .. فقد كانت من بين المتقدمات للوظيفة وهى لا تعلم عن إعجاب مجدى بها شيئا . وما أن رآها حتى ذهل ، وصاح قائلا : « إنتِ؟! » . . ثم أصابته إغماءة ولم يشعر بمن حوله . وصعق وكيل المكتب وكاد يجن مما حدث لأستاذه . . . وطرد ألفت — التى خرجت إلى الشارع تبكى . وتوجهت إلى معرض الفن الحديث وقصت على صديقتها سهير ما حدث لها . . وكانت الدموع تتساقط من عينيها بغزارة فطمأنتها سهير وأخبرتها بقصة إعجاب مجدى بصورتها .

يستعيد الأستاذ مجدى رشده فلا يجد أمامه صاحبة اللوحة . ويسأل وكيل مكتبه عنها فيخبره أنه طردها ، فيؤنبه مجدى ويأمره هو والسكرتيرة بأن يخرجا إلى الشارع يبحثان عنها . . . ويخرج هو الآخر للبحث عنها ويتوجه إلى معرض الفن الحديث ليسأل الفنانة سهير عنها . . . وما أن تراه سهير يقترب من معرضها حتى تخفى ألفت خلف إحدى الستائر المعلقة — ويرجوها وهو يبكى أن تدله على مكان صاحبة اللوحة فتنادى سهير صديقتها ألفت وتعرفها بمجدى الذى يخبرها بأنه قد إختارها من بين جميع المتقدمات لتكون سكرتيرة لمكتبه . فترفض بلباقة بحجة أنها لا ترضى مطلقا أن تعمل فى مكتب شخص معجب بها وبجمالها لأنها حين تقدمت إلى مكتبه لم تكن تعلم شيئا عن إعجابه باللوحة التى رسمتها سهير لها . . . ويفكر مجدى قليلا ثم يسألها هل ترضى به زوجا لها ويحمر وجهها وتطلب منه أخذ موافقة أبيها أولا وبشرط أن تصبح زوجة وسكرتيرة لمكتبه فى نفس الوقت حتى يمكنها الإستفادة من دبلوم معهد السكرتارية الذى حازت عليه بامتياز . . . فيوافقها على ذلك ويأخذ عنوان منزلها .

مجدى يقابل والد ألفت بمنزله . ويطلب منه يد أبنته فيناديها الأب ويسألها عن رأيها فتشترط أن تكون زوجته وسكرتيرة للمكتب فى نفس الوقت ، ويوافق مجدى ويرحب به الأب زوجا لإبنته ويتفقان على موعد تقديم الشبكة .

وفى الموعد المحدد تقام الزينات بمنزل ألفت ، وتحتفل العائلتان بخطوبة ألفت للأستاذ

مجدى وتلبس الشبكة ويتقبلان التهانى وتعزف الموسيقى ويرقص بعض المدعوين . . يمر حوالى شهر تنشغل فيه أسرة ألفت مع الأستاذ مجـدى بتأثيث منزل الزوجية ... ثم يعقد القران ويقام حفل كبـير ينتهى بإنصراف المدعوين وركوب ألفت بجوار مجـدى سيارة فاخرة تقلهما إلى أكبر فنادق القاهرة حيث يقضون شهر العسل . . . يمضى أسبوع على زاجهما حين تطلب ألفت من مجدى أن يتركا الفندق ليستقرا فى عش الزوجية السعيد وليباشرا عملهما فى المكتب ... ويطلب مجدى منها ألا تتعجـــل الزمن ولاداعى لإختصار شهر العسل . فتصمم ألفت على طلبها ويرضخ لرغبتها .

. . . ألفت فى المكتب مع زوجها تباشر أعمال السكرتيرة القديمة التى تركت المكتب وصرف لها مجدى مكافأة كبيرة .. تنهمك ألفت فى عملها بإخلاص وتنهى جميع أعمال زوجها المتأخرة . وكانت تبالغ فى الترحيب بموكلى زوجها الذين زاد عددهم أضعاف ماكانوا عليه لإعجابهم بها وبإبتسامتها المشرقة ... مجدى يلاحظ إزدياد عدد موكليه ويحس بنظرات إعجاب موكليه لزوجته .. فتأخذ الغيرة طريقها إلى قلبه . ويأمر زوجته بعدم إرتداء الملابس الضيقة — ومع أنها كانت محتشمة فى ملابسها إلا أنها نفذت رغبة زوجها الذى لاحظ أن نظرات الإعجاب والإغراء والنداء من موكليه الشبان والعجائز المتصابين لم تنته بعد حتى كاد يجن من هذه التصرفات . . . . بدأت الغيرة تملأ حياة مجدى بالشك . وكان كثيراً ما يترك مكتبه ليفاجىء زوجته فى مكتبها لـــيرى تصرفاتها مع موكليه . ومع أنه كان يجدها تجلس دائما وتتصرف دائما بكل وقار وإحترام إلا أنه طلب منهـا أن تترك سكرتارية المكتب وتتفرغ لشئون منزلها — لكنها أخبرته بأن وقتها يتسع للمنزل والمكتب معاً وأنها لابد وأن تستفيد بدبلوم معهد السكرتارية كما وعدها بذلك من قبل . . . وحين وجد مجدى إصراراً من زوجته على العمل فى مكتبه زاد الشك فى نفسه . . وبدأ يضايقها وثار عليها ووجه إليها ألفاظا نابية — بل صفعها على وجهها فى ثورة غضبه فتركت المنزل باكية وتوجهت إلى منزل أبيها . . . بعد أن رحلت ألفت أحس مجدى بالندم وذهب إلى منزل أبيها الذى أنَّبه على غلطته لكنه إعتذر له بحجة أن الغيرة قد أفقدته صوابه لحبه الشديد لها . فحن قلب الأب وأقنع إبنته بالعودة إلى زوجها . فوافقت بشرط أن يعيِّن مجدى صديقتها ماجده سكرتيرة لمكتبه . وأخبرته أنها كانت من أوائل دفعتها بمعهد السكرتارية وأنها يتيمة الأبوين وترعى مصالح إخوانها . . . ووافق مجدى وعادت ألفت

إلى منزلها لترعى شئون زوجها بينما إستلمت صديقتها ماجده أعمال السكرتارية بالمكتب .

. . وعادت السعادة ترفرف على عش الزوجية الذى يجمع مجدى وألفت ولم يكن يضايقها سوى أنها عاقر حرمها الله من نعمة الأولاد . . . بدأ مجدى يعطف على سكرتيرته الجديدة ماجده التى ظنت أنه يحبها ويتودد إليها ليتخذها عشيقة لها كما أراد أن يفعل معها بعض أصحاب المكاتب الذين عملت عندهم وكانت تتخلص منهم بلباقة وتترك مكاتبهم بلا عودة إلى أن ساقها القدر إلى مكتب شاب فاسق يدعى صبرى ضحك عليها . وصارت فى إحدى الليالى إمرأة رغماً عن أنفها . . . ولذا كانت ماجده معذورة فى أن تكون سيئة الظن بمجدى وكانت معذورة حين فكرت فى الإنتقام من أصحاب المكاتب السابقين الذين عملت معهم فى شخص الأستاذ مجدى . وصممت على أن توقعه فى شراكها قبل أن يوقعها فى شراكه حتى ولو كان فى ذلك خطر على صديقتها ألفت . ورأت ألا غبار فى هذا فقد ظنت أن صديقتها ألفت قد سبقتها هى الأخرى وأوقعت مجدى فى شراكها وتزوجته عندما كانت تعمل سكرتيرة لمكتبه - ولم تكن ماجده تعلم أن مجدى قد تزوج ألفت قبل أن تتولى أعمال سكرتارية مكتبه . . . بدأ مجدى يضيق من معاكسات ماجده ويشكو منها لزوجته ألفت بحجة أنها صارت سكرتيرة كسولا لا تخلص لعملها - لكن زوجته كانت ترجوه أن يحتملها لأنها يتيمة وفى حاجة الوظيفة لترعى أخوتها الصغار وكانت تسأله عن سر تغير رأيه فيها بعد أن كان يمدحها ويثنى عليها وكان يستحى أن يخبرها بما لاحظه عليها خصوصا وأنه كان يعلم مقدار ثقتها فى صديقتها ماجده . . . وكتم مجدى غيظه وأخذ يتحاشاها حتى لا يضعف أو يلين أمام إستخدامها لأسلحة الإغراء لكن ماجده كانت تتمادى فى إغرائه حتى يقع فى حبها ويتزوج منها . . . فكانت تكشف عن جمالها الصارخ بملابسها الضيقة الشفافة شبه العارية التى تكشف عن معظم أجزاء جسدها لتوقعه فى غرامها عندما تنفرد به فى مكتبه . . وكم من مرة أغراه الشيطان لكنه كان يرتد لصوابه فى اللحظات الأخيرة عندما يذكر عقاب الله ويجد أمام عينيه صورة زوجته الجميلة الساحرة المخلصة التى تفنى حياتها من أجله والتى تنتظر عودته إلى منزله متلهفة عليه . . . وبدأ مجدى يضطرب فى حياته وتسوء حالته النفسية إلى أن جاء يوم لم يحسب له . فقد كان مضطراً إلى أن يسهر فى مكتبه بضع ليال متتالية لإنجاز بعض القضايا حين أستأذنه وكيل مكتبه فى الإنصراف ذات ليلة لوعكة أصابته فسمح له بذلك . واضطر مجبراً أن يبقى مع سكرتيرته ماجده منفردين فى المكتب واغتنمت ماجده الفرصة . فما أن رأت مجدى يستند برأسه على

يديه اللتين وضعهما على المكتب ليستريح قليلا - حتى جرت إلى مكتبها . وأخرجت زجاجة خمر معتقة كانت قد أخفتها بمكتبها إنتظاراً لتلك الفرصة . وقدمت له كأساً ليجدد نشاطه فثار على هذا الوضع الشاذ . فإعتذرت له . وأخبرته أنها لم تحضر زجاجة الخمر إلا لتحتفل معه بعيد ميلادها الذى آثرت أن تحتفل معه به بدلاً من أن تحتفل به وسط أقاربها وأصدقائها حتى لا تتركه وحيداً بالمكتب خصوصاً بعد أن إعتذر وكيل المكتب لمرضه. فسامحها مجدى وأخذ الكأس منها وشربها لكنها ناولته كأساً ثانية ثم ثالثة إلى أن غاب عن وعيه . فجذبته من يده ليستريح على الأريكة الجلدية ونامت بجانبه ... فى منتصف الليل أفاق مجدى من غيبوبته . فوجد ماجده تنام بجواره شبه عارية فقام مذعوراً . وأيقظها بعنف ، وأخبرها بأنه لن يمكنه العودة إلى منزله فى تلك الساعة المتأخرة — لذلك سيضطر للمبيت فى المكتب وسيخبر زوجته بأنه إضطر إلى السفر لمأمورية عاجلة وإلى أن يبيت هناك . ثم طلب من سكرتيرته أن تغادر المكتب فوراً حتى لا يراها أحد — لكنها رفضت وإدعت عليه أنه إعتدى على شرفها ولابد له أن يصلح خطأه بالزواج منها وإلا إضطرت إلى إبلاغ زوجته بحقيقة ماحدث ... إضطر مجدى أمام تهديد ماجده إلى أن يرضخ إلى طلبها ويتوجه معها فى الصباح الباكر إلى المأذون ليعقد القران عليها . وكان المأذون فى عجب من أمرهما ، وأعتقد أن الحب هو الذى ألقى إليه بهما فى الصباح المبكر . ولم يكن يعلم أن ماجده العروس التى أمامه قد جاءته فى الصباح المبكر وهى تسوق عريسها مجدى كما يسوق القصاب الشاة إلى المذبح . وتمت إجراءات الزواج — لكن مجدى لم يتأبط زراع عروسه كما هى العادة المتبعة لكى يتجها إلى عش أحلامهما السعيد إنما تركها لتعود إلى منزلها بمفردها بعد أن تركا المأذون — ليعود إلى زوجته الأولى ألفت ... فى اليوم التالى دخل مجدى مكتبه مقطب الجبين وبدأ يعامل ماجده بقسوة وفكر أن يطلقها ويطردها من مكتبه لكنه خشى أن تفشى السر لزوجته . وزاد خوفه عندما علم أنها حامل وستضع مولوداً سيخلق رابطة أبدية بينهما ... وتمر الأيام . وتلد ماجده مولوداً يفرح به مجدى ويسميه محسن . ويجد نفسه قد تعلق به وصار يقضى مع ماجده معظم وقته بينما نسى زوجته ألفت التى أخلصت له وضحت بمستقبلها وأفنت عمرها فى خدمته ولم يكن لها ذنب سوى أن الله لم يرزقها بابن يملأ حياة زوجها الذى نسى تضحياتها من أجله .

.. نسى مجدى كل هذه التضحيات وترك ألفت وحيدة فى منزلها تبكى الأيام والليالى الطوال فى إنتظار عودة زوجها ... ومرت الأيام دون أن يعلم الأستاذ مجدى ماتخبئه له

الأقدار — إلى جاء يوم أخبر فيه مجدى زوجته الجديدة ماجده بأنه مسافر إلى بلدة لتحرير عقد بيع أطيان يملكها أحد موكليه وأنه سيسافر بعربة موكله وسيضطر إلى المبيت هناك . ثم ودعها وداعاً حاراً وتوجه إلى مكتبه . وإنتظر موكله دون جدوى. ثم سمع رنين التليفون وكان المتحدث هو موكله ليعتذر له .وليؤجل الميعاد ليوم آخر حيث أن المشـــترى أصابه مرض مفاجىء .

فرح مجدى بتأجيل موعد السفر . وأراد أن يدخل الفرحة إلى قلب زوجته الجديدة ماجده . فإشترى بعض الهدايا . وعاد يتسلل إلى المنزل .وفتح الباب بالمفتاح وتسلل إلى داخله ليرى مقدار فرحتها به عندما تفاجأ بلقائه — لكنه فوجىء بضوء أحمر خافت ينبعث من حجرة نومه وصوت رجل غريب يضحك مع زوجته .فوضع الهدايا على الأرض ودخل الحجرة مسرعاً فوجد زوجته شبه عارية وفى أحضان رجل غريب فأنفجر فيها قائلا « بتعملى إيه يامجرمه ؟! » ثم هجم على عشيقها صارخاً فى وجه قائلا : «وإنت بتعمل إيه هنا يامجرم ؟!» وتشابك الإثنان وأخذ كل منهما يكيل للثانى اللكمات .القوية وأصيب كلاهما بجروح بينما وقفت ماجده كالتمثال لاتقدر أن تتحرك من هول المفاجئة. وأخيراً سدد عشيقها إلى مجدى لكمة قوية أوقعته على الأرض ثم أخرج مسدسه وصوَّبه تجاه مجدى ليقضى عليه وهنا صرخت ماجده فى وجه عشيقها قائلة : « حاسب إنت مجنون ؟! » وإندفعت ماجده نحو عشيقها لتنزع المسدس من بين يديه — لكنه كان أسرع منها فإنطلقت رصاصة من فوهة مسدسه وإستقرت فى صدرها فوقعت على الأرض بجوار مجدى الذى كاد أن يفيق من غيبوبته. وذهل عشيق ماجده حين رآها تسقط على الأرض والدماء تسيل منها . ففتح شباك الحجرة وأمسك فرع شجرة كبيرة ليستخدمه فى النزول إلى الحـــديقة ليهرب فى الظلام قبل أن يقبض عليه — لكن فرع الشجرة لم يحتمله وكسر به . فوقع على الأرض وإصطدمت رأسه بحجر كبير فشجت وسالت منها الدماء بغزارة . فصرخ صرخة قوية ثم لفظ أنفاسه الأخيرة .

..أفاق مجدى من غيبوبته فوجد زوجته ماجده ترقد بجواره على الأرض والدماء تسيل منها بغزارة .وأخذت تتحدث إليه بصعوبة . وكانت الكلمات تخرج من فمها متقطعة فتقول « مجدى أنا متأسفه من إللى حصل وأرجوك تسامحنى فأنا أخدت جزائى وإنتهيت وحاموت خلاص. ووصيتى تأخد بالك من إبننا محسن لأنه حيبقى يتيم وملهوش ذنب فى إللى حصل منى . وأرجوك تاخده معاك لألفت مراتك المخلصه وإحكى لها الحكايه فهيَّ

ست طيبه وقلبها أبيض وبتصفح بسرعه وأنا متأكده إنها حتعتبره زى إبنها . . وصيتى الأخيره إنك تدعى لى ربنا يسامحنى ويغفر ذنوبى وتخبى الموضوع ده عن إبننا محسن لما يكبر عشان مايدعيش عليه وإنما يدعى لى يمكن ربنا يحقق دعاه . . خلاص يامجدى توعدنى وأنا أبوس رجليك عشان أموت مرتاحه فيرد عليها : «أوعدك وربنا يسامحك» فتقول ماجده : «أنا متشكره يامجدى ودلوقتى أقدر أموت وأنا . . . » ولم تكمل ماجده كلامها فقدهربت الكلمات من شفتيها ولم تقو على الكلام . وهربت الحياة من جسدها ولم تقو على الحركة ، وتصلبت أطرافها وتجمدت . وأغمضت عينيها لتختم قصة حياتها ... أخذ مجدى يحرك جسدها بيديه وهو يصرخ قائلا : «ماجده . ماجده . . ماجده ... إصحى ياماجده مش عشانى فأنا كفايه عليه ألفت مراتى المخلصه إنما علشان إبنك محسن مايترباش يتيم فهو محتاج تراب رجليكى » وسال الدمع غزيراً من عينيه . ونهض يجر قدميه ليحمل إبنه محسن ويعود به إلى زوجته الأولى ألفت وهو فى أشد حالات الخجل والإرتباك ولما سألته عن الطفل أخبرها بأنه وجده فى الطريق فحمله إليها لتتبناه . ولما سألته هل حررت مذكرة فى القسم بالعثور على الطفل حتى يستدل أهله فى المستقبل عن مكانه — أخبرها أنه سيقوم بتحرير المذكرة فى الصباح الباكر . فوافقت ألفت أن تتبنى الطفل بشرط يقوم مجدى بتحرير مذكرة فى القسم بعثوره على الطفل فى اليوم التالى . فوافقها مجدى ... فى صباح اليوم التالى يحاول مجدى أن يترك المنزل مبكراً . فتطلب ألفت أن ينتظر لتخرج معه ومعهما الطفل لتحرير مذكرة فى القسم بالعثور عليه . ويطلب منها مجدى ان تصرف نظرها عن هذا الموضوع لكنها تصمم على ذلك وتهدده فيقول لها : «حتعملى إيه ! ! » فترد عليه : «حابلغ عنه بوليس النجدة » فيرد عليها «حلوه النكته دى » فتقول له «أنا باتكلم جد . . » وده اللى حايحصل » فيقول لها : «بلاش هزار ياألفت . وعن إذنك بقه أحسن إنا أخرت عن شغلى ويتركها مجدى ويتجه إلى باب الشقة . فتقول له : «إستنى يامجدى لحسن بشرفى حاطلب بوليس النجده . فيرد عليها ساخراً : «طيب ورينى شطارتك كده » فترد عليه «بقى كده ؟! طيب ... » ثم ترفع ألفت سماعة التليفون وتدير القرص وتطلب ١٢٢ ثم تقول «أيوه ياحضرة الظابط أنا عايزاكم فى ٣٥ شارع الجلاء شقه ٢٩ » . . ولم تكمل ألفت كلامها فقد هجم الأستاذ مجدى على التليفون كالمجنون وقطع المكالمة مع شرطة النجدة . وقال لزوجته . «إيه ده اللى عملتيه ياألفت إنتى مجنونه» فتقول له : «وانت يهمك ايه انى اتصل فى موضوع زى كده بوليس النجده ؟ ! ... ومالك خايف كدة ؟ ! فيقول لها باضطراب «أصلى ياألفت ... » ثم يجلس مجدى محطم الاعصاب على مقعد بجوارها ويقص لها قصته مع ماجده ، ويعتذر لها ويستعطفها فى أن تصفح عنه . ويعدها بأنه

سيخلص لها طول العمر ، وتصدق كلامه ، ويحن قلبها له ، وتعده بأنها ستعتبر إبنه محسن إبنا لها ، فيشكرها مجدى ويطبع قبلة على جبينها ، ويحتضنها بين ذراعيه . وكانت ألفت تحمل محسن بين يديها . فيطبع قبلة على جبينه هو الآخر . فتقبل ألفت الصغيرهى بدورها ، ويظل الجميع فى هذا الموقف الشاعرى بضع دقائق حين يدق جرس الباب بشدة فيقول مجدى بصوت مضطرب خافت ضعيف : « مين . . . ؟ » فيرد عليه صوت غليظ قوى « افتح » فيفتح الباب وهو يرتعش ويدخل ضابط وخلفه بعض الشرطة ويقول الضابط لألفت « حضرتك طلبتينا كنتى عايزه تبلغينا إيه ؟ » فتقول ألفت باضطراب « أنا . . . أنا أصلى عاوزه . . أنا كنت . . » وهنا يتدخل مجدى ويقول للضابط : « أنا أصلى طلبت منها إنها تتصل بيكم علشان تبلغكم عن حادثه حصلت فى بيت مراتى الثانيه » ثم يقص مجدى القصة على الضابط وهو مرتبك ومضطرب . فيطلب منه الضابط أن يتوجه معه إلى القسم لتكملة التحقيق .

. . ويخرج الأستاذ مجدى مع رجال الشرطة بعد أن يودع زوجته ويقبل إبنه الصغير . وتبدأ الإجراءات ويقوم رجال الشرطه والنيابة بمعاينة مكان الحادث وإجراء التحقيق اللازم ، فتثبت براءة الأستاذ مجدى وصحة أقواله فيفرج عنه ويعود لزوجته ألفت ليقضيا أجمل ليالى حياتهما ويعوضا الليالى المظلمة المؤلمة التى مرت بحياتهما من قبل ، وترفرف السعادة على عش زوجيتهما ، وتتولى ألفت سكرتارية مكتب زوجها من جديد ويكبر محسن ويصير شابا مجتهداً فى دراسته . مطيعا لأوامر والده مجدى وكذا ألفت التى كان يعتقد أنها والدته لأنه كان لايعلم عن قصة والدته الحقيقية شيئا . . . ويتخرج محسن فى كلية الحقوق وينال الليسانس بامتياز ، ويعاون أباه فى مكتبه ، ويقول لألفت : « دلوقتى إنتى ياماما لازم تستريحى وتتفرغى لشئون البيت وأنا من النهارده حابق سكرتير ووكيل والدى فى مكتبه . » فتبتسم ألفت فرحة . وتطبع قبلة على جبينه وهى تقول له « أمرك يا إبنى » ويراهما الأستاذ مجدى من حجرة مكتبه المجاورة فيفرح لذلك ، ويبتسم إبتسامة تنم عن سعادته وفرحته ؟

أديب وملهمة

صلاح شاعر وأديب وفنان له مغامرات عاطفية كثيرة ... إن قلبه خلق ليحب ثم يهجر ليحب من جديد ... إن قلب صلاح كان كثير التغير والتقلبات «كالترمومتر» فهو لا يثبت ولا يستقر على حال ... إن ذلك القلب يمكننا أن نشبهه بحوائط معرض يحوى أكبر مجموعة لصور الجميلات لو أن الصور إستقرت بداخله — لكن صلاح كان يمحى آية صورة بمجرد ظهور صورة أخرى داخل ذلك القلب بعد أن تترك خدوشا وجروحا دامية فتشقيه وتسبب له آلاما مبرحة ... وكان معظم الناس يعتقدون أن صلاح شاب أنانى مستهتر لتصرفاته الشاذة الخاطئة — لكنه كان فى الحقيقة إنسان — فهو أديب وفنان .. فإن صلاح كان يحاول دائما أن تكون الصدمة لضحيته مخففة للغاية — أى من ذلك النوع الذى تمحى آثاره الأيام — وكان كثيراً ما يؤنبه ضميره على اللعب بقلوب ضحياته — لكنه كان يعود مرة أخرى فيقول لنفسه إنه لم يرتكب أى ذنب أو خطأ يحاسب نفسه عليه فهو يشبه إلى حد كبير ذلك الرسام الذى يحضر «الموديل» فيجردها من ملابسها ليشرح جسدها ويدرسه وينقله بفرشاته على لوحاته — فإنه بأعماله التى يعتبرها المجتمع شذوذاً وخروجا على المبادىء والتقاليد لم يرتكب أى ذنب وإنما يقوم بعملية تشريح لقلوب فتياته ليدرسها وينقلها بقلمه على الورق فتخرج على الناس كتبا بها صور من صور الحياة ودروسها ... إستمر صلاح على هذا الحال بضع سنوات كانت أشق سنوات حياته وأرهقها ... فإن مغامراته العاطفية كانت تشقيه كما كانت تشقيه دراساته بكلية الآداب وكثرة إطلاعه على مختلف الثقافات التى لابد أن يلم بها ليكون أديباً معروفاً له مكانته المرموقة فى المجتمع .

وفى سبيل هذا الهدف كان صلاح يرهق نفسه ويحطم شبابه بينما يقول الناس عنه إنه شاب مستهتر — لكنه كان يسخر منهم فى قرارة نفسه ويتعجل الزمن الذى يثبت فيه للجميع أنه ملاك فى صورة شيطان. وأنه البطل الذى يستحق إحترام الجميع وتقديرهم لكنه تخفى عنهم فترة من حياته فى شخصية شاب مستهتر حتى يصل إلى هدفه — تماما كما يفعل ضابط المباحث عندما يتخفى فى زى إمرأة أو تلميذ حتى يتمكن من القبض على

اللصوص والمجرمين فيخدم بذلك المجتمع الذى نعيش فيه فإن العبرة ليست بالمظاهر وإنما بالنتائج التى تترتب على تلك المظاهر ... ظل صلاح متمسك بهذه الآراء والمبادىء غير عابىء بكلام الناس أو تقاليد المجتمع وقوانينه فإنه كان يعتقد أن القوانين لم تسن لأمثاله من العباقرة الذين يؤهلون أنفسهم ليكونوا قادة الفكر فى ذلك المجتمع — وإنما سنت القوانين للأشخاص الذين لا يعرفون كيف يتصرفون ... أما الأدباء والفنانون فإنهم أناس يجب أن يعيشوا أحراراً يتصرفون كيفما أرادوا فهم خير من يتصرفون ... إستمر صلاح فى مخالفته للمجتمع وعناده مع الناس كما يعتقدون — أما هو فكان يعتقد أن أعماله ما هى إلا علاجاً للمجتمع وتشخيصاً لأمراضه النفسية والخلقية والإجتماعية ... وكان صلاح يبذل من نفسه فى سبيل علاج مجتمعه فكان كالشمعة التى تفنى لتضىء للناس أو كالوردة التى تذبل فى أيدى الناس بعد أن تذكيهم برائحتها العطرة ... فكنت تراه نحيفاً ضعيف البنية وكأنه رأس بلا جسد أو قل عقل بلا رأس ليكون التعبير أدق .. فإن صلاح كان مجموعة أفكار تسير بين الناس ولم يكن جسد يتحرك ، وكان روحاً تعيش بين الناس ولم يكن جسد يعيش بينهم ليفنى فى يوم من الأيام كبقية البشر .. ملكت هذه الأفكار واستحوذت على عقل صلاح ، ولم يعد يبالى بكلام الناس وما يتناقلونه بألسنتهم عن عبثه ومجونه حتى قابلته فتاة كانت تختلف عن باقى الفتيات التى قابلهن جميعا .

كانت أحلام تتصف بجمال فتيات الريف خلقا وجسدا .. رأى صلاح فى أحلام صورة فتاة الريف الهادئة الوديعة ذات المبادىء والمثل والشخصية القوية ، ورأى صلاح فيها فتاة أحلامه التى ظل يبحث عنها سنوات طوال بين عشرات ومئات الفتيات التى صادفهن فى مغامراته العاطفية الكثيرة — ولكنه لم يجد فى حياتها قصة أو تجربة تصلح قصة أو مادة لمؤلفاته — ومع ذلك وجد نفسه مندفعا نحوها بقوة خفية لا يدرى مصدرها . وفى كل مرة كانت تقف له وقفة حاسمة تجعله يفيق لنفسه ، ويعرف أنها تختلف عن باقى الفتيات التى قابلهن فى كل شىء — وأن قوة تأثيره الخارقة على الفتيات لا تجدى مع هذه الفتاة الساحرة القوية الشخصية والإرادة والخلق ... حاول صلاح أن يصل إلى أعماق قلب أحلام لكنه وجده خاليا من الأسرار لأنه لم يخفق للحب مرة واحدة ... فهو لم يعرف الحب قبل أن يعرف صلاح .. ووجد صلاح نفسه أمام تجربة من نوع جديد تحتاج إلى وقت أطول لأنه لا بد وأن يكون أحد أبطال هذه التجربة من بدايتها إلى نهايتها لأنها لم تبتدىء بعد فإن معرفته بأحلام ما هى إلا مقدمة للتجربة . . ووجد صلاح أن هذه التجربة تختلف إختلافا كبيراً عن سابقاتها . فإنه كان يعمل من خلف الكواليس كرغبة ضحياته حتى

لا يراه معهن أحد أما هـذه المرة فلا بد أن يظهر على خشبة المسرح حيث توجد عائلة أحلام ... ولم تـكن خشبة المسرح سوى بلدة فاقوس .

يسافر صلاح إلى بلدة فاقوس حيث يقابل أهل عروسه ليطلب يدها بعد أن يعرفهم بنفسه ... فيرحبون به ، وتتم إجراءات الزواج بأسرع مما كان يتصور ... صـلاح يشرح لأحلام مدى سعادته ويخبرها بأنه لا توجد قوة على وجه الأرض يمكنها أن تفرق بينهما سوى شعوره فى وقت من الأوقات بأنهـا صارت حائلا بينه وبين الأدب والفن الذى يجرى فى كل قطرة من دمائه .

... صلاح وأحلام فى منزل الزوجية يتشاجران بسبب نشاطه الأدبى والفنى وتطلب منه أحلام أن يكتفى بوظيفته كمعيد بكلية الآداب ويبتعد عن الأوساط الأدبية والفنية فيذكرها بمـا حذرها منه قبل الزواج ويهددها بالطلاق إذا وقفت حائلاً بينه وبين نشاطه الأدبى والفنى . ويخبرها بأنه يود أن يصبح أديبـاً وفناناً مشهوراً قبل أن يصبح أستاذاً فى الجامعة أو حتى مديراً لها .

... أحلام تبعثر كتب زوجها وتمزق مسودات مؤلفاته الموضوعة على مكتبه وتلقى بها فى سلة المهملات غير عابئة بتهديداته ... صلاح يثور ويطلق زوجته وينفصـل عنها ويعيش وحيداً فى منزل صغير بحديقة جميلة ويطلق عليه « محراب الفـكر » . يعيش فيه بعيداً عن الناس مع مراجعه ومؤلفـاته لا يغادره إلا لتجربة جديدة ليخرج إلى الناس بكتاب أو قصة جديدة ... ويعود صلاح لحياته الأولى المليئة بالتجارب والمغامرات العاطفية وهو خائف من الزواج محاذر ألا يقع فريسة مرة أخرى لفتاة أو إمرأة تريد أن تربطه بجوارها بحبل متين حتى لا تخطفه منها أخرى من بنات جنسها من الأديبات والفنانات .

... صلاح فى إحدى دور الصحافة يتعرف بصحفية لبنانية جميلة تدعى هيام حضرت إلى القاهرة فى مهمة صحفية أوشكت على الإنتهاء منها لتعود إلى لبنان الساحرة .. يعجب كل منهما بالآخر ويجمع الحب بينهما رغم إختلاف الدين فهو مسلم وهى درزية . ويحس كل منهما أنه متمم الآخر ، ويجد صلاح فى هيام ملهمته ومشجعته التى كـان يبحث عنها طوال السنين الماضية . وتجد فيه هى الأخرى نفس الصفات التى كـانت تبحث عنها فى فتى أحلامها ... يشاهد صلاح وهيام فى الأوساط الأدبية مع بعضهما لا يفترقان دائما حتى تنتهى مهمتها فى القاهرة وتعتزم السفر إلى لبنان ... ليـلة الرحيل إلى لبنان يسهر صلاح مع هيام طوال الليل بالفندق . وتبكى بحرقة على فراقه ، ويشاركها حزنها ويقسمان على الوفاء والإخلاص لحبهما ويتعاهدان على الزواج مهما قابلهما من عقبات .

... صلاح فى اليوم التالى يودع هيام فى المطار والدموع تسيل من عينيهما ، وتغادر الطائرة المطار بعد أن يتفقا على تبادل الخطابات حتى يدبّر كل منهما أموره ويمهدا للزواج

... صلاح يكتب خطاباً لهيام يشرح فيه عواطفه . ويكتب فيه أغنية بين مطرب مصرى ومطربة لبنانية بعد أن تخيّل نفسه المطرب الذى يغنى . وتخيّل حبيبته هيام المطربة التى ترد عليه . وكانت كلمات الأغنية تقول : —

المطرب : تمت وحده ما بين قلبين   عقبال ما تبقى بين القطرين

يا بنت لبنان أنا ولهان   يا نينى عينى ونورها كان
صورتك فى قلبى . فى أغلى مكان   وروحى وّياكى فى لبنان

والوحده تمت بين قلبين   بكره حاتبقى بين القطرين

المطربة : يا إبن مصر أنا روحى فداك   يا إبن مصر أنا مش حانساك
يا إبن مصر أنا حستناك   يا إبن مصر أنا ماشيه معاك

فى طريق الوحده العربيه   أهدافنا مساواه وحريه
وحانبقى دوله إتحاديه   مبدائنا عداله إجتماعيه

والوحده تمت بين قلبين   بكره حاتبقى بين القطرين

المطرب : يا شريكة عمرى يا أحلامى   يا منايا وحبى وغرامى
دى صورتك حتى فى منامى   فى ليلى ونهارى قدامى
يا زميلتى وملاك إلهامى   فى قصصى وشعرى وأنغامى
ده إسمك أحلى الآسامى   وأيامك أجمل أيامى
وآهى وحده تمت بين قلبين   عقبال ما تبقى بين القطرين

... تقرأ هيام الخطاب مرات عديدة وتحفظ الأغنية عن ظهر قلب وترددها لزميلاتها وزملائها فى كل مناسبة ... وتكتب له هى الأخرى خطاباً تكمل فيه الأغنية التى كتبها صلاح ثم يتلوه عدة خطابات تعبّر فيها عن عواطفها وإحساساتها . ويتم تبادل الرسائل بينهما دون إنقطاع ، ويزداد إيمانهما بأنهما خلقا لبعضهما ولا بد من الزواج ... ويفكر كل منهما أن يفاجىء الآخر ويسافر إليه .

.. صلاح فى مطار القاهرة الدولى يركب الطائرة المتجهة إلى بيروت .. هيام فى مطار بيروت تركب الطائرة المتجهة إلى القاهرة .

... صلاح فى شوارع بيروت يسأل عن منزل هيام . هيام فى شوارع القاهرة تسأل عن منزل صلاح .

... صلاح يطرق باب منزل عائلة هيام ... هيام تطرق باب منزل عائلة صلاح فيفتحون لها الباب ثم تدخل ... هيام تجلس فى حجرة الإستقبال مع والدة صلاح وإخوته تسأل عنه فيقول لها والده « ده سافر يا بنتى بيروت » فتبدو عليها الدهشة وتقول وهى تبتسم : « على كده سافر علشانى » فيقول والد صلاح باستغراب : « سافر علشانك ؟ !... وحضرتك تبقى مين ؟ » فترد باستغراب : « أنا هيام الصحفية اللبنانية . هو ما قالش لحضرتك » فيرد الأب بسخرية « لا ما قليش . وحضرتك بقى مسلمه والا مسيحيه » فتقول « لا ... درزيه » . فيقول الأب بتعجب : « بتقولى درزيه ؟ ! » فتنهض هيام غاضبة وتقول « أيوه درزيه .. فيها حاجه ! ؟ أنا كنت فاكره إنى حلاقى مقابله غير كده فى الجمهوريه العربيه المتحده منبع القوميه العربيه » . فيتنحى بها أخوة صلاح جانباً ويقدمون إعتذارهم ويقولون لها إن الجمهورية العربية المتحدة هى وطن كل عربى حر وإن الدين لله والوطن للجميع وكل عربى حر فى عقيدته وديانته . وأخبروها بأن والدهم لايعنى ما يقول لكبر سنه ولحزنه على فراق إبنه صلاح الذى يحبه حباً شديداً . ولغضبه لأن صلاح لم يخبره بعلاقته بها ... فقبلت هيام إعتذارهم ... وقبلت أيضاً رجاءهم بالبقاء فى ضيافتهم عدة أيام حتى يعدوا العدة للسفر معها ليطلبوا يدها من أهلها ، ويحتفلون مع أخيهم صلاح بعقد قرانه عليها .

... صلاح يجلس مع أسرة هيام فى حجرة الإستقبال بمنزلهم ببيروت . وكان المذياع يذيع مقطوعة موسيقية .. يذكر لهم صلاح إسمه ويخبرهم بأنه أديب عربى فيرحبون به .. ثم يسألهم عن هيام فيخبره والدها بأنها سافرت إلى القاهرة فيبدوا عليه الفرح وهو يقول : « على كده سافرت علشانى » فيبدو الغضب على والد هيام ويشهر سلاحه فى وجه صلاح قائلا : « بتقول إيه ؟ ! ... سافرت علشانك ؟ ! ... يا عيب الشوم ... بنتى تسافر القاهره علشان مسلم ؟! .. وكان جاى دارى ؟ ! » فينهض صلاح واقفاً وهو يقول : « وفيها إيه ؟ ! .... ده الدين للديان والحب ما يعرفشى مسلم أو مسيحى أو درزى » فيقاطعه قائلا « أسكت ومش عاوز أسمع منك ولا كلمه ولولا إنك فى دارى أنا كان زمانى خلصت عليك .. لكن مش دى طباعنا .. إنا حاكومك علشان فى دارى لأن الدرزى راجل كريم وكان شجاع وشهم وطبعا سمعت عنه .. لكن مسيرنا نتقابل خارج دارى ونصفى الحساب إللى بينا » .. يسكت المذياع فجأة ويعلن المذيع : « هنا محطة بيروت .. سوف نذيع عليكم بعد لحظات خبراً هاما .. أيها الشعب العربى فى لبنان نزف إليكم

بكل سرور نبأ إعلان الوحدة . فقد أصبح لبنان القطر الرابع لمصر والعراق وسورية فى الجمهورية العربية المتحدة .. وإننا نناشد الشعب العربى فى لبنان بالتمسك بوحدة الصف . فلم يعد هناك مسلمون ومسيحيون ودروز فالكل إخوة . ولم يعد هناك فى الوطن العربى مكان لمستعمر أو دخيل أو عميل يوجد تفرقة بين الصفوف ... والله اكبر ولتحيا الوحدة » .

... تبدو الفرحة على وجوه الجميع . ويقبل والدهيام على صلاح يعانقه ويقبله ويعتذر له . فيقبل إعتذاره . ويهنئون بعضهما بإعلان الوحدة .

... صلاح يتناول طعام الإفطار مع أسرة هيام . يدق جرس الباب . يفتح أحد أفراد الأسرة الباب ويتلقى برقية من مندوب التلغراف مكتوب فيها .

« نهنئكم بالوحدة بين القطرين وقادمون فى الطائرة صباح الخميس لإتمام الوحدة بين الحبيبين .. التوقيع « أسرة صلاح ومعها هيام » .

... فى مطار بيروت تصل الطائرة القادمة من القاهرة . ويستقبل صلاح حبيبته وملهمته هيام بالأحضان والقبلات ويتعانق باقى أفراد الأسرتين يهنئون بعضهم بالوحدتين .

العاشق الصغير

كان مزواجاً رغم فقره ووظيفته المتواضعة ، فقدكان موظفاً بالدرجة السابعة بإحدى الوزارات — ومع ذلك فقد طلق زوجته الوديعة الهادئة بعد أن أنجب منها عفاف تلك الصغيرة الجميلة . ولم يرحم الزوج توسلات زوجته حتى لا يضيع مستقبل إبنته عفاف بل طردها من منزله . وتزوج إمرأة شريرة أذاقت إبنته عفاف ألوان العذاب .

وتحملت البنت الصغيرة عذاب زوجة أبيها . وكانت كلما إشتكت إلى أبيها صرخ فى وجهها وضربها واتهمها بأنها تحاول أن توقع بينه وبين زوجته حتى يطلقها ويعود إلى أمها . . . واضطرت الصغيرة أن تتحمل تعذيب أبيها وزوجته . وكانت تكبت فى نفسها ما تعانيه من حرمان للحب والعطف والحنان الذى يحتاج إليه كل إنسان .

وأخذت الصغيرة تبحث عن الحب والعطف والحنان أينما كان لأنها حرمت منه ولم تجده فى منزلها عند أبيها وزوجته القاسية — ولم تجده أيضاً عند أمها التى تزوجت بعد طلاقها من أبيها . وكانت معذورة فى ذلك لأن الإنسان يبحث دائماً عن الشىء الذى حرم منه خصوصا إذا كان الحب والعطف والحنان .. وأخيراً بعد عناء كبير وجدت عفاف الحب والعطف والحنان فى المدرسة . . لقد وجدته عند مدرس اللغة الإنجليزية الذى كان يبتسم لها دائما وكثيراً ما كان يثنى على ذكائها .

وفى يوم همس المدرس فى أذنها وهى جالسة فى الفصل بأن ذكاءها يمكن أن يجعل منها الأولى على فصلها إذا أخذت منه دروساً خصوصية فى اللغة الإنجليزية وأخبرها بأنه سيجعل الدرس بالمجان نظراً لحالة أبيها المالية وتقديراً لنبوغها وذكائها الذى جعله معجباً بها . وفرحت عفاف بكلام مدرسها . وأخذت تتعجل الزمن وتحسب الساعات والدقائق لتعود إلى منزلها لتعرض الأمر على أبيها الذى لم يعارض حين اخبرته بأن مدرسها أخبرها بأنه لن يكلفه مليماً واحداً فى هذه الدروس خصوصا وأنه كان يعلم أن هذا المدرس متزوج وله أولاد .

. . وتوجهت عفاف إلى منزل مدرسها فى الميعاد الذى حدده للدرس الأول ولكنها لم

تجد فى المنزل أحداً سواه . . . فهو الذى فتح لهما باب شقته الهادئة هدوء المقابر . ولما سألته عفاف عن زوجته وأولاده أخبرها بأنهم خرجوا لزيارة قريب لهم فى منزل مجاور وسيعودون فى الحال . فإطمأنت عفاف بعض الشيء . ودخلت شقة مدرسها بخطوات بطيئة متثاقلة تدل على خوفها وعدم إطمئنانها إطمئنانا تاماً — لكن مدرسها أخذ يطمئنها . وأمسك بيدها وأخذها إلى حجرة مكتبه . أخذت عفاف تتأمل محتويات الحجرة بسرعة وإرتباك . وأخيراً إختارت كرسى صغير بجوار الباب جلستّ عليه حتى تتمكن من الهرب إذا دعت الضرورة ذلك . . وحين لاحظ المدرس تصرفات تلميذته إبتسم إبتسامة كلها مكر ودهاء ثم جلس على أريكة فى آخر الغرفة وطلب من تلميذته أن تنتقل بجواره ليبدأ الدرس . وحين سألت عفاف مدرسها لماذا لا تأخذ الدرس فى المكان الذى تجلس فيه وينتقل هو إلى الكرسى المجاور لها أخبرها بأنه لا يستريح عند إعطاء الدروس إلا عند ما يجلس على تلك الأريكة . فاضطرت عفاف إلى الإنتقال إلى الأريكة التى يجلس عليها مدرسها — لكنه أمسك كتاباً فى اللغة الإنجليزية واقترب منها حتى صار ملاصقاً لها . وبدأ يقرأ بصوت مضطرب غير طبيعى . وكان الكتاب يهتز بين يديه لأنهما كانتا ترتعشتان . وعند ما لاحظت عفاف تصرفات مدرسها سألته مرة أخرى عن زوجته وأولاده ، وحاولت أن تنصرف ولكنه أمسك بيدها وأخبرها بأنهم سيعودون فى الحال — لكنهم لم يعودوا . وبعد إنتهاء الدرس لم تعد عفاف عذراء . . . فإن درس أستاذها لم يكن فى اللغة الإنجليزية وإنما كان درساً فى الحب الدنس والخطيئة .

عادت عفاف إلى منزل أبيها وهى مضطربة ، وكانت خائفة جداً . ولذا لم تخبر أباها بنكبتها وما حدث لها من مدرسها خوفاً من بطش أبيها وسخرية زوجة أبيها وإذلالها لها بسبب ذلك الحادث . وأضطرت عفاف إلى أن تكتم المأساة داخل قلبها الصغير .

. . . كانت عفاف كلما خلت إلى نفسها فى إحدى الحجرات تنفّس عن نكبتها بالبكاء الحار لتغسل الدموع آثار خطيئة مدرسها معها رغم أنفها . وكانت فى المدرسة تنظر إلى مدرس اللغة الإنجليزية بنظرات كلها إشمئزاز وإحتقار . ولم تعد تخاف منه أو تخشاه رغم أنها التلميذة الصغيرة بنت السادسة عشر — ومع ذلك فإن مدرسها كان يبتسم لها كلما نظرت إليه بتلك النظرات بما فيها من تحدى . وكثيراً ما كان يثنى عليها وسط زميلاتها فكن يحسدنها على إعجاب المدرس بها وهن لا يعلمن ما أصابها منه من نكبة وكارثة أليمة .

وفى أحد الأيام وقف المدرس بجوار عفاف وهى تجلس فى الفصل وسط زميلاتها . وأخبرها أنه تقابل مع والدها فى الصباح وإتفق معه على أن يعطيها درسين فى الأسبوع . وحدد معه الساعة الخامسة مساء اليوم التالى لتكون ميعاداً للدرس الثانى . فتضايقت عفاف وكادت تبكى لكنها أضطرت أن تخفى مشاعرها وسط زميلاتها فى الفصل .

.. وجاء موعد الدرس الثانى فى اليوم التالى وحاولت عفاف ألا تذهب إلى منزل مدرسها الذى إفترسها فى درسه الأول . وأخذت تعتذر لأبيها بحجة أنها متعبة — لكنه أمرها بالذهاب إلى مدرسها وحذرها بأشد العقاب إذا لم تكن نتيجتها الأولى فى آخر العام الدراسى .. وطلب منها أن تخرج معه ليقوم بتوصيلها إلى منزل مدرسها ولينصرف هو إلى عمله بعد توصيلها .. ونفذت عفاف تعليمات أبيها . وقام بتوصيلها حتى أدخلها باب المنزل ولم ينصرف إلا بعد أن تأكد أنها صعدت درجات السلم — وهو لا يعلم أنه بتوصيل إبنته إلى منزل مدرسها صار كمن قام بتوصيل شاة إلى ذئب فاغر فاه ليفترسها بأنيابه كما إفترسها فى المرة السابقة .

وصعدت الصغيرة سلم المنزل وهى خائفة من بطش أبيها إذا ضبطها وهى تحاول الهرب دون أن تصعد إلى شقة مدرسها . وكانت فى نفس الوقت خائفة من غضب مدرسها إذا تخلفت عن حضور درسه الثانى فينتقم منها بأن يجعلها ترسب فى مادته وبهذا فإن نتيجتها لن تكون الأولى كما يرغب أبوها فتنال منه العقاب الذى توعدها به .... وطرقت عفاف باب مدرسها . ففتح لها الباب فسألته عن زوجته وأولاده . فأخبرها بأنهم موجودون بالداخل .. فدخلت الصغيرة الشقة وهى ترتجف — ولكن تبين لها بعد فوات الأوان أن الشقة خاوية إلا منه — إذ أن جميع أهل منزله قد سافروا إلى بلدتهم . وحاولت الصغيرة أن تهرب من بين يدى مدرسها ولكن دون جدوى .. وتكرر الدرس الأول — فكان الدرس الثانى أيضا فى الحب الدنس والخطيئة ولم يكن يمت للغة الإنجليزية بأية صلة .

.. وتكررت الدروس وتكررت معها المصيبة والمأساة فى كل درس . وكانت عفاف فى كل مرة راضية صاغرة رغم أنفها خوفاً من غضب مدرسها حتى لا تسقط فى مادته (وإن كانت قد تعلمت دروس السقوط بين يديه) وكان خوفها من عقاب أبيها فى آخر العام الدراسى إذا لم تعجبه نتيجتها يجبرها على أن ترضخ لرغبات مدرسها الدنيئة التى جعلته ينسى شرف مهنته التى هى من أسمى المهن وأنبلها .. وإستمرت عفاف مع مدرسها على هذا الحال المذرى المشين عدة مرات حتى تعودت بذلك وظنت أنه الحب الذى تسمع عنه

ولم تذق له طعماً قبل ذلك — فإن عفاف التى كانت محرومة من الحب والعطف والحنان ظنت أن زلتها مع مدرسها وكذا قبلاته وأحضانه الدافئة هى أسمى درجات الحب والعطف والحنان كما أفهمها ذلك بكلماته الناعمة الخبيثة وصارت عفاف تنتظر ميعاد دروس مدرس اللغة الانجليزية بفارغ الصبر لتلقى بنفسها بين أحضانه بعد أن تلقى بكتبها على الأرض ويدوسها الاثنان بأقدامهما وهما فى نشوتهما الخاطئة الدنسة .

وكان القدر يقف لهما بالمرصاد. فقد لاحظت عفاف أن هناك تغيرات داخلية حدثت لها . وأنها صارت تحس بآلام وأوجاع مبرحة . وبدأ بطنها ينتفخ قليلا . فاضطربت وساءت حالتها النفسية . وخافت بطش أبيها واهانة زوجته لها وإذلالها إذا عرفا بمأساتها . وأخذت عفاف تفكر فى مأساتها وأخيراً لم تجد حلاً إلا الهرب من منزل أبيها قبل إفتضاح أمرها . . . ونفذت عفاف خطتها . وتوجهت إلى منزل أمها تبكى وكانت يائسة من الحياة تفكر فى الإنتحار بعد أن جعلت أمها آخر حبل تتعلق به من الهاوية التى إنزلقت إليها . وآخر بصيص لها من النور فى الحياة بعد أن أظلمت أمام عينيها . فربما عطفت عليها ووقفت بجانبها لترشدها إلى ما تفعله .

وقصت عفاف قصتها لوالدتها وهى تبكى ، وسمعت الأم مأساة إبنتها وكانت دموعها تنهمر وكان حنان الأم أقوى من كل شيء . فإحتضنت إبنتها وقبلتها من جبينها وهى تقول :

« لاتحزنى يا بنيتى ولا تبكى فإن كل شيء يمكن إصلاحه ، والحقيقة أن تلك الغلطة ليست غلطتك بل هى غلطة أبيك قبل أن تكون غلطتك أنت — فهو الذى طلقنى ليتمتع مع إمرأة شريرة قاسية تركتك بين يديها تقسو عليــــك كما تشاء وأعذرينى يا بنيتى إن كنت قد تزوجت بعد أن طلقنى والدك فإن فقرى هو الذى إضطرنى للزواج — ولكن منذ هذه اللحظة يا بنيتى لن أتخلى عنك لحظة واحدة ولن أسلمك لأبيك الذى شغلته زوجته اللعوب عن مصلحة إبنته » .

.. ولم تكمل الأم كلامها حتى سمعت طرقات على باب شقتها فأخفت إبنتها ، وفتحت الباب فوجدت زوجها السابق — والد عفاف — يقف أمامها يسألها عن إبنته ، فأخبرته بأنها موجودة طرفها وأنها لن تتركها له تتعذب مرة أخرى على يدى زوجته . ولم تقص الأم على زوجها السابق مأساة إبنتها حتى لا يقتلها فهددها الأب بأنه لن يعطها آية نقود لتربية إبنتها إذا تمسكت بتربيتها . ووافقت الأم على ذلك وانصرف الأب فرحاً لأنه تخلص من المصاريف التى تكبدها له إبنته ولأن منزله سيخلو له ولزوجته فينعمان بسعادة الحياة

الزائفة . فإنه لم يعرف أن هناك سعادة أبدية خالدة فى جنات الله وأنه كأب عليه واجبات وإلتزامات نحو إبنته يحاسب عليها أمام الله وأمام القانون .

ولم يكد الأب ينصرف حتى أخذت الأم إبنتها إلى أرملة عجوز تعتبر صديقة عزيزة لها منذ وقت بعيد لتخفيها عندها خوفاً من زوجها الثانى الذى تزوجته بعد أن طلقها والد عفاف ... وقصت الأم مأساة إبنتها على صديقتها الأرملة العجوز فحنت لها وعطفت عليها، واعتبرتها ابنة لها تسليها فى وحدتها إلى أن يأتى فرج من الله وتحل مسألة عفاف حلاً لايضر بمصلحتها ومستقبلها .

حاولت الأم بعد ذلك أن تتصل بمدرس إبنتها ليتفقا على حل لمشكلة إبنتها لكنه كان يتهرب منها . وبعد محاولات عديدة تمكنت من مقابلته . وعندما عرضت عليه أن يصحح خطأه ويتزوج إبنتها رفض بحجة أنه متزوج وله أولاد ولا يمكن أن يتزوج من فتاة طائشة فرطت فى عرضها وستكون حتماً زوجة خائنة تفرط فى عرضها كما فرطت من قبل .. وتشاجرت معه الأم وإنصرفت بعد أن صممت على أن تأخذ لابنتها حقها بالطريق القانونى وأن تجعل منه عبرة لكل ذئب بشرى .

وقدمت الأم بلاغاً فى مدرس إبنتها ، فطلبه رئيس النيابة لأخذ أقواله والتحقيق معه ، وكانت مفاجأة قوية للمدرس ... فخاف وأرتبك وخرج إلى الطريق وقد أظلمت الدنيا أمام عينيه بعد أن كشف سره وصار فضيحة ستتناقلها الألسن وسيعاقبه عليها القانون .

. . أخذ المدرس يواصل سيره فى الطريق وسط العربات متجها إلى رئيس النيابة وهو لايرى شيئا من الأشياء التى حوله لأن الغشاوة التى كانت على عينيه يوم إرتكب جريمته مع تلميذته صارت أشد سواداً بعد أن إفتضح أمر جريمته فلم يعد يرى الأشياء التى حوله . فكان كالنعامة التى تخفى رأسها فى الرمال حتى لايراها أحد . فإن عدم رؤيته للأشياء هو تعبير وشعور غير أرادى نابع من ذاته وصادر من نفسه التى أرادت أن تختفى عن أعين البشر عند إفتضاح أمرها . وهى لاتعلم أن هناك عين الله الساهرة التى لاتنام وهناك أعين البشر التى لايخفى عنها سر مهما طال الزمن ومهما كان حرص صاحب ذلك السر ... وطال الطريق على مدرس عفاف ، وكانت الأفكار السوداء تتوارد على تفكيره طوال الطريق وكان نادماً على غلطته وعلى عدم موافقته لإقتراح والدة عفاف بتصحيح ذلك الخطأ بالزواج منها ... وبينما هو سابح فى بحر من الأمواج الصاخبة وسط هذه الأفكار السوداء إذا بسيارة مسرعة تصدمه فجأة فيسقط على الأرض ليسبح فى بحر من دمائه ويلقى حتفه — وهكذا كان إنتقام الله لعفاف من ذلك المدرس المستهتر بشرف مهنته .

.. أضطرت الأم أن تخفي موضوع إبنتها وترضى لقضاء الله حتى وضعت عفاف ولداً تربى معها فى منزل الأرملة العجوز ... وبعد الوضع أخذت الأم إبنتها إلى طبيب جراح تربطهما به صلة معرفة . وشرحت له مأساة إبنتها وأخذت ترجوه أن ينقذها من مصيبتها . لحن قلبه لها . وأجرى لها عملية أخفى بها آثار فقدها لعذريتها حتى لا ينكشف أمرها عندما تتزوج . ومرت الأيام وإذا بتاجر غنى من بلدة فى الصعيد يتقدم للزواج من عفاف، وفرحت الأم أشد الفرح وكذلك المرأة العجوز وكذا عفاف التى زفت إليه . وأقيم لها فرح كبير فى بلدة التاجر تكلف مئات الجنيهات ، وكان التاجر فرحاً جداً بعروسه الشابة المثقفة بنت القاهرة ذات الجمال الساحر ، وأثث لها شقة جميلة فى بلدته فرشها بأفخم الأثاث وكانت الشقة مليئة بجميع الكماليات التى لم يكن يخطر ببال عفاف مجرد أن تراها فى يوم من الأيام وكان الزوج يصرف ببذخ وكرم زائد . فكان زوجاً مثالياً حقاً لولا أنه كان جهماً جاف الطباع يعاملها بتكلف . وكان دائماً مقطب الجبين لا يعترف بشىء إسمه الحب أو العطف أو الحنان نحو زوجته عفاف التى عاشت طوال حياتها محرومة من هذه الأشياء الأساسية التى كانت محتاجة إليها أكثر من حاجتها إلى ذلك الأثاث الفاخر وتلك الملابس الغالية والمأكولات اللذيذة التى لم تعرف طعمها قبل الزواج من هذا التاجر الواسع الثراء .

.. وإستمرت عفاف مع زوجها خمسة عشر عاما أنجبت خلالها ولدين وبنتين وكان زوجها سعيداً معها — أما هى فلم تكن تعجبها حياة الترف التى كانت تعيشها مع زوجها بل كانت ما تزال تبحث عن الحب والعطف والحنان الذى لا غنى عنه للإنسان .

.. وفى أحد الأيام بعد هذه السنوات الكثيرة والعشرة الطويلة — وصل الزوج خطابا من مجهول يخبره فيه أن زوجته تخونه مع الشاب الصغير الذى يبلغ من العمر سبعة عشر عاما والذى سكن حديثا فى حجرة متواضعة أعلى المنزل الذى يسكنون فيه . وأنها تصعد إلى مخدعه كل صباح أثناء وجوده بمتجره ... وتملك الغيظ الزوج فكلف البواب وكذا الخادم بمراقبة زوجته والتأكد من صحة ما جاء بالخطاب . وقام الإثنان بالمهمة وجاء ردهما بأنها فعلا تخونه مع ذلك الشاب الصغير الذى سكن أعلى المنزل . وجن جنون الزوج وصمم على قتل زوجته والإنتقام منها لشرفه الذى أهدرته تلك الزوجة الخائنة خصوصا بعد أن واجهها بما وصل إليه من أخبار مشينة وطلب منها أن تقسم على القرآن . فإعترفت بأنها تصعد إلى ذلك الشاب فى حجرته أثناء غيابه فى متجره ولكنها لم تفرط فى عرضها وكل ما بينهما هو حب شريف لا يتعدى القبلات البريئة — وخشيت عفاف أن تخبره بأن ذلك الشاب الصغير هو إبنها ثمرة الخطيئة مع مدرسها قبل زواجها منه ... ولم يتمالك الزوج أعصابه فصفعها

على وجهها ليرد فى الحال لطمة كلماتها بلطمة من كفه على وجهها . وأرسل خادمه ليجمع رجال العائلة فى شقته ليحدثهم عن خيانة زوجته ليكلفوا شخصا بقتلها حتى لا يضيع مستقبله من أجل إمرأة خائنة .

واجتمع كبار عائلة التاجر فأخبرهم بما حدث من زوجته الخائنة وكذا تصميمه على قتلها فوافقه الجميع على ذلك وأخذتهم النخوة . فمنهم من تطوع للقيام بتلك المهمة ومنهم من صمّم على التمثيل بجثتها مسحاً لعار العائلة . لكن كبير العائلة كان رجلا حكيما فقال لهم إننا يجب أن نستمع إلى كلام عفاف أولا فربما تكون مظلومة خصوصا وأن زوجها لم يرها بعينيه وإنما إستند إلى خطاب من مجهول وعلى تحريات الخادم والبواب . وربما تكون تلك التحريات غير صحيحة أو مغرضة لسبب فى نفسيهما . فطأطأ الجميع رؤوسهم ووافقوا على إقتراح كبير العائلة الذى تركهم ودخل حجرة عفاف حيث وجدها ترقد على سريرها وهى تنتحب وتبكى بمرارة وحسرة ، فأخبرها بأن زوجها صمم على قتلها هو وجميع العائلة وأنه أراد أن يريح ضميره أمام الله ويستمع إلى إعترافها بأذنيه قبل أن ينفذوا ما اتفقوا عليه . . وهنا نهضت عفاف فجأة من رقدتها ، وإعتدلت فى وقفتها كأنها تتحدى الجميع ، وطلبت من كبير العائلة أن ينادى زوجها ليسمع هو الآخر ما ستقول ، فنفذ كبير العائلة رغبتها وأحضر زوجها ، وبدأت عفاف تتكلم بجرأة لم يعهدها فيها أحد من قبل . فقالت لهما وفى نبراتها قوة : « أنا لا أخاف تهديدكم ولا أخاف إلا الله وها أنا ذا أعترف لكم بأنى فعلا خنت زوجى » . . فنظر الزوج إلى كبير العائلة بغيظ وكأنه يقول له : « أسمعت ما قالت . . وما إعترفت به تلك الخائنة الفاجرة التى تتحدانا » وكانت نظرات كبير العائلة تنطق فتقول : « نعم سمعت ما قالت . . . » ثم إتسعت حدقتا عينى كبير العائلة وتتطاير منها الشرر وكأنها تعلن باسم العائلة « القتل للخائنة الفاجرة » ولاحظت عفاف الشرر الذى يتطاير من عينى زوجها وكذا كبير العائلة وكأنه صواريخ موجهة إليها لنسفها . فخافت وإضطربت وأكملت كلامها فى الحال ولكن بصوت فيه ضعف وذلة . فقالت لهم وهى ترتجف : « نعم أنا خنت زوجى — ولكن قبل الزواج وليس بعده حين كنت تلميذة صغيرة بالمدرسة الثانوية آخذ دروساً خصوصية من مدرس اللغة الانجليزية فى منزله . وإستغل المدرس ضعفى وسذاجتى وإغتصبنى رغم مقاومتى العنيفة بين يديه ، وكان ثمرة الخطيئة ذلك الشاب الصغير الذى سكن حديثا فى الحجرة الصغيرة أعلى المنزل الذى نسكنه ولقد إنتقم الله من مدرسى بأن قتل تحت عجلات سيارة مسرعة . واضطررت أن أخفى ذلك الموضوع عن والدى حتى لا يقتلنى أو أكون عرضة

لسخرية زوجته وشماتتها .. وها أنا ذا بين أيديكم فأقتلونى لجريمة كنت فيها المجنى عليها وأنا صغيرة .. وعندكم أعلى المنزل فى حجرة متواضعة يعيش العاشق الصغير — كما كنتم تعتقدون — وهو إبنى ثمرة تلك الخطيئة فأقتلوه هو الآخر لتلك الجريمة التى لا يعلم عنها شيئا وإنما كان مثلى ضحية مجرم إنتقم الله منه شر إنتقام .. ها أنا ذا أمامكم . وها هو إبنى وعشيقى الصغير — كما كنتم تعتقدون — ينام فى حجرته الصغيرة أعلى منزلكم .. فأقتلوه وأقتلونى لنستريح بعد أن تعذبنا طويلاً وحرمنا من الحب والعطف والحنان .

.. ووقف الرجلان أمام عفاف كالحجارة لا يتحركان لأن المفاجأة أذهلتهما وعقدت ألسنتهما . وواصلت عفاف حديثها معهما مرة أخرى أيقظتهما من غفوة الصدمة فقالت لهما : « لماذا لا تتحركان . هيا أقتلونى وأريحونى وأقتلوا إبنى الصغير الذى أعشقه وأعبده حتى يستريح هو الآخر » .

وهنا تحرك التمثالان — أو الرجلان — وتقدما نحو عفاف ووضع كبير العائلة يده اليمنى على كتف عفاف وربت عليها بحنان وعطف ، وقال مخاطباً إياها : « إسمعى يا بنيتى إننا بعد أن سمعنا قصتك لم نعد نشك فى إخلاصك إطلاقا لزوجك بل اعترف له أمامك بأنك كنت زوجة مثالية ، وأعتقد أنه بعد أن سمع قصتك صار يؤمن هو الآخر بذلك . ثم قال مخاطبا الزوج بعد أن إلتفت نحوه : « أليس كذلك ؟ » فرد عليه الزوج : « طبعاً يا عمى وأنا صرت مؤمنا بأن عفاف هى أغلى شىء عندى ، وهى أطهر وأشرف إمرأة فى الدنيا بعد انعرفت قصتها أما الجريمة التى إرتكبتها وهى صغيرة فهى ليست جريمتها وإنما هى جريمة مدرسها الذى لاخلاق عنده وكذا جريمة أبيها الذى حرمها من عطفه وحنانه وتركها لزوجته تذيقها ألوان العذاب وكذا جريمة أمها التى تزوجت بعد أن طلقت ونسيت رعاية إبنتها وتذليل صعابها ومشاكلها . إن عفاف كانت ضحية مجتمع فاسد وحين كبرت وعرفت المجتمع على حقيقته إختارت طريق الصواب وشقته بشرف وإخلاص . وإن علىّ اليوم واجباً كبيراً هو أن أعوّض عفاف السعادة والعطف والحنان الذى إفتقدته وهى صغيرة . فإنفرجت أسارير عفاف ، وعرفت الإبتسامة طريقها إلى وجهها لأول مرة . وزادت فرحتها وإبتسامتها حين سمعت كبير العائلة يخاطب زوجها : « أحسنت يا بنى — ولكن لا تنسى إبن عفاف — أو العاشق الصغير — كما كنا نسميه ، فهيا إذهب إليه وأحضره من حجرته ليعيش معكما كأحد أبنائكما فإنه هو الآخر ضحية مجتمع فاسد وهو ثمرة جريمة هو برىء منها — فإن أنت أسعدته ورحمته فى دنياك فإن الله سيرحمك فى آخرتك . فيها إذهب إليه وأحضره وإحسن معاملته » فقال الزوج وهو ذاهب لإحضار إبن زوجته عفاف : « سمعاً وطاعة » .